

شعرية وصف البرق في الشعر الأندلسي

The Poetics of Describing Lightning in Andalusian Poetry

فتيحة محمد أمين العربي

جامعة حضرموت (اليمن)، f.alarabi@hu.edu.ye

تاريخ النشر: 2025/06/20

تاريخ القبول: 2025/02/18

تاريخ الاستلام: 2025/01/16

ملخص:

يسعى هذا البحث إلى الوقوف على التوظيف الشعري لدال البرق، في الشعر الأندلسي، والكشف عن دلالاته، وتشكلاته الأسلوبية واتخاذها عنصر افتتاح شعري، ومعادلاً موضوعياً للذات الشاعرة في التعبير عن عالمها الشعري والنفسي. أبان البحث عن أن البرق في الشعر الأندلسي يمثل رمزاً شعرياً يكشف عن تجربة شعرية وجدانية من شوق وحنين وغيرهما من العواطف المختلطة، تآزرت في بنائها عناصر متعددة من أرق ودمع وذكريات وأماكن، ووقف على ثنائية الماء والنار، والنور والظلام دلالات ضدية في البرق. وكشف البحث عن التشكلات الفنية والأسلوبية من خلال تحليل البنى الأسلوبية المكونة لشعر البرق، تتجلى أكثر في الأساليب الافتتاحية والانفعالية من نداء وتعجب واستفهام وتمنٍ، وتشكلات للصورة الفنية تشبيهاً وتشخيصاً وتلويناً، ليضفي ذلك على البرق بعداً شعرياً. وقد اتكأت الباحثة في دراستها على المنهج الأسلوبي من خلال تحليل البنى التركيبية والصوتية والدلالية، مما يكشف عن السمات المميزة والفردية التي وظفت توظيفاً خاصاً، بوصف الأسلوب استعمالاً خاصاً للغة.

الكلمات المفتاحية: البرق، الشعر الأندلسي، دلالات، صورة، رمز، أسلوب.

Abstract:

This research aims to explore the poetic employment of the signifier of lightning in Andalusian poetry, revealing its connotations and stylistic formations, as well as its role as a poetic opening element and an objective correlative for the poet's self-expression within their emotional and poetic realm. The study demonstrates that lightning in Andalusian poetry serves as a poetic symbol that unveils an emotional experience characterized by longing, nostalgia, and other intertwined sentiments. This construct is supported by various elements, including anguish, tears,

memories, and places. The research also examines the duality of water and fire, light and darkness, which presents opposing connotations in the context of lightning. Furthermore, the study uncovers artistic and stylistic formations through the analysis of the structural elements that constitute the poetry of lightning, particularly evident in opening and emotive styles such as exclamations, interrogatives, and wishes, alongside the formations of imagery through simile, personification, and coloration. This lends a poetic dimension to the concept of lightning.

The researcher employs a stylistic approach by analyzing structural, phonetic, and semantic frameworks, which reveals distinctive and individual characteristics that have been employed in a specific manner, considering style as a particular usage of language.

Keywords: Lightning, Andalusian poetry, connotations, imagery, symbol, style.

المؤلف المرسّل: فتيحة محمد أمين العربي

1. مقدمة:

أخذت الطبيعة بمختلف مظاهرها بلبّ شعراء الأندلس، فانطلقوا يحاكونها ويرسمونها شعراً، وغدا منهم ابن خفاجة صنوبريّ الأندلس، شاعر الطبيعة بلا منازع. بيد أن المتأمل في الإبداع الشعري يستوقفه توظيف الشعراء لعناصر معينة، يتخذون منها معابر لحكاية أشواقهم وأشجانهم، وكثيراً ما يستفتحون بها أشعارهم، ومن تلك العناصر البرق، الذي شكل ظاهرة حاضرة في الشعر الأندلسي، تستدعي تفسيراً وتحليلاً، ونظراً لأنه لم يسبق إلى علم الباحثة من تناول هذه الظاهرة في الدرس الأندلسي، فإن ذلك الأمر دفعنا للوقوف عليها لاستجلاء سر التوظيف الشعري لدال البرق، وما يحمله من أبعاد رمزية وفنية. إننا نجد غير شاعر كثيراً ما يستفتح شعره بدال البرق، يستنطقه حديثاً هو في الأخير يومئ به على ذاته، ويتخذ منه وسيلة لحكاية تجربته من شوق وحنين، وهو أمر يثير تساؤلات عديدة، ما علاقة البرق بالذات الشاعرة التي أنزلته هذه المنزلّة؟ وما في البرق جعل الشعراء يستودعون أسرارهم، ويسمحون له بإداعتها وتحميله رسائل يبلغها إلى أحبّتهم؟ وما نوع هذه الرسائل الخاصة التي يودون منه إيصالها؟ وهل لشعر البرق من تشكلات أسلوبية خاصة؟ إن هذه الأسئلة وغيرها تثير فضولنا في البحث عن أجوبة شافية عن تعلق الشعراء به عامة، وشعراء الأندلس خاصة، وشاعرهم يفتح شعره فيقول⁽¹⁾:

(1) الأصفهاني، العماد، الخريدة، قسم شعراء مصر، ج 1/ص 276. وانظر أيضاً، ص 271.

لك الله من برق بنعمان أبرقا وصافح رثماً بالكثيبين والنقا
ألاح وعمرُ الفجر في أخرياته فغادر للظلماء جيباً مشقاً

وأخر على المنوال نفسه⁽¹⁾:

لك الله من برق تراءى فسلما وصافح رسماً بالعذيب ومعلما
إذا ما تجاذبنا الحديث على السرى بكيت على حكم الهوى وتبسمما

إن حديث الشعراء مع البرق حديث ذو شجون ومرام بعيدة، غير ما يبدو للقارئ والمتلقي لأول وهلة، ما لم يمعن النظر في أغواره ودهاليزه الخفية، وذلك مسعى يحاول هذا البحث الكشف عن جلية توظيف البرق في الشعر الأندلسي.

وقد اشتمل البحث بعد هذه المقدمة، على مدخل، وثلاثة مباحث، ثم خاتمة، وقائمة بمصادر البحث ومراجعته، هي كالآتي:

المدخل: سوف نتناول فيه معنى البرق لغة، وماله من حضور في النص القرآني، والتراث الشعري. **المبحث الأول: البرق والموضوع الشعري:** وسنتناول الحديث عن الموضوعات الشعرية التي عادة ما يوظف فيها البرق، وعلى رأسها الشوق والحنين وغيرهما من الأغراض الشعرية. وكذا الوقوف على استحواذ دال البرق في القصائد الشعرية استهلالاً أو انبثاثاً.

المبحث الثاني: البرق رمزاً شعرياً: سنأخذ فيه الحديث عن طبيعة البرق المزدوجة التي تجمع بين النور والظلام، بين الماء والنار، بين الحياة والموت، والبناء والهدم، وما يتفرع عن ذلك من ثنائيات، وما تشتمل عليه بنية شعر البرق من عناصر تكاد تشكل بنيته من أرق ودمع وذكرى وبنية مكانية.

المبحث الثالث: البرق والصورة الفنية: سندرس كيف صور الشعراء البرق، وما أكثر الصور دوراناً للبرق في التخيل الشعري لدى الشعراء، وطرائق تشكيل الصورة.

وقد اعتمدت الباحثة في دراستها على المنهج الأسلوبى من خلال تحليل البنى التركيبية والصوتية والدلالية، مما يكشف عن السمات المميزة والفردية التي وظفت توظيفاً خاصاً، بوصف الأسلوب استعمالاً خاصاً للغة الشعرية.

2. مدخل: البرق في اللغة والاصطلاح:

جاء في العين: البروق: بيض السحاب، وبرق يبرق بروقاً وبريقاً، وأبرق لغة. والبارقة سحاب يبرق، وكل شيء يتلألأ فهو بارق، ويبرق بريقاً، ويقال للسيوف بوارق، وإذا اشتد موعده بالوعيد يقال: أبرق وأرعد⁽²⁾. وفي

(1) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص 178.

(2) الفراهيدي، أحمد بن خليل، العين، ج 155/5.

الجمهرة: برق الرجل يبرق إذا شخص بطرفه من فزع أو عجب، ومنه قوله تعالى: "فإذا برق البصر"، وبرق الشيء بريقاً وبرقاناً إذا لمع، والأبرق والبرقة والبرقاء واحد وهي آكام فيها طين وحجارة، وجمع أبرق أبرق وأبارق وجمع برقاء برقاوات، وجمع برقة برق، جبل أبرق إذا كان ذا لونين سواد وبياض أو غير ذلك⁽¹⁾.

وفي الصحاح: والبرق: واحد بروق السحاب، يقال برق الخلب، وبرق خلب بالإضافة، وبرق خُلب بالصفة، وهو الذي ليس فيه مطر، ويقال رعدت السماء وبرقت برقاناً: أي لمعت. ورعد الرجل وبرق، أي تهدد، ورعدت المرأة وبرقت، أي تزينت⁽²⁾.

أما في مقاييس اللغة فحدد دلالة البرق ومعناه بقوله: "برق، الباء والراء والقاف أصلان تتفرع الفروع منهما، أحدهما لمعان الشيء، والآخر اجتماع السواد والبياض في الشيء، وما بعد ذلك فكله مجاز ومحمول على هذين الأصلين⁽³⁾."

فالبرق يأتي بمعانٍ متعددة منها التلألؤ واللمعان، ويطلق أيضاً على السحاب، وقد يراد بالبرق الماء⁽⁴⁾، واجتماع السواد والبياض، بما يحمل من ثنائية ضدية، لعلها تتجلى أكثر في تحمله عناصر متنافرة وهي الماء والنار، وهذا الأخير آت مما يحدثه من صواعق وشرر، وما يحتويه من نور وظلمة، فهو يشع عادة ليلاً، لذلك يقول ابن عباس: البرق سوط من نور يزجر به الملك السحاب⁽⁵⁾ "أو هو ما يرى من النور اللامع ساطعاً من خلل السحاب"⁽⁶⁾. وقد أشار القرآن الكريم في غير آية إلى بعض دلالات البرق مثل دلالاته على الخوف والطمع، والحياة والموت أو الدمار، من مثل قوله تعالى: **فَأَظْمَرَ ظُهُمُ عِجْ غَمِ فُجْ فَحَدَّ** [سورة الرعد: 12]⁽⁷⁾، وقد فسر ابن كثير "خوفاً وطمعاً" في آية الروم، بقوله: "تارة تخافون مما يحدث بعده من أمطار مزعجة، أو صواعق متلفة، وتارة ترجون وميضه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه"⁽⁸⁾.

على أن دال البرق لينفتح على دلالة الإشراقات اللدنية، وهي دلالة صوفية، فالبرق نور معنوي يشرق في قلب المؤمن العارف بربه، لذلك يعرفه الجرجاني بقوله: "البرق: أول ما يبدو للعبد من اللوامع النورية،

(1) ابن دريد، جمهرة اللغة، ج 221/1.

(2) الجوهري، الصحاح، ج 1448/4.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 222/1.

(4) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج 440/4.

(5) ابن منظور، اللسان، مادة برق.

(6) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج 440/4.

(7) وقد تكرر هذان المعنيان في سورة الروم، آية 24.

(8) ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج 210/6.

فيدعوه، إلى الدخول في حضرة القرب من الرب للسير في الله.⁽¹⁾ ويعدده ابن القيم إحدى منازل "إياك نعبد وإياك نستعين"، فيقول: "مِنْ أَنْوَارِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ نُورُ الْبَرْقِ"⁽²⁾، وَالَّذِي يَبْدُو لِلْعَبْدِ عِنْدَ دُخُولِهِ فِي طَرِيقِ الصَّادِقِينَ وَهُوَ لَامِعٌ يَلْمَعُ لِقَلْبِهِ، يُشَبِّهُ لَامِعَ الْبَرْقِ. وَقَالَ صَاحِبُ الْمَنَازِلِ: الْبَرْقُ: بَاكُورَةٌ تَلْمَعُ لِلْعَبْدِ، فَتَدْعُوهُ إِلَى الدُّخُولِ فِي هَذِهِ الطَّرِيقِ. وَهُوَ "نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، وَيُبْدِيهِ لَهُ، فَيَدْعُوهُ بِهِ إِلَى الدُّخُولِ فِي الطَّرِيقِ"⁽³⁾.

واكتسب البرق بعداً أسطورياً⁽⁴⁾ ورمزياً، فقد اتخذهُ المتأخرون من شعراء المديح النبوي رمزاً خالصاً لمعاني الوجد القدسي، كقول أحدهم:

إِنَّ لَمَعَ الْبَرْقِ مِنْ خَيْفِ مَنْى جَدَّدَ الْوَجْدَ وَهَاجَ الْحَزْنَ
كَلِمَا طَرَزَ أَثْوَابَ الدُّجَى لَمَعُهُ أَحْرَمَ عَيْنِي الْوَسْنَ⁽⁵⁾

ومن البعد العجائبي والأسطوري للبرق ما ألمح إليه الشاعر ابن اللبانة في بيتين يقرن فيهما قصة فتية الكهف بفتية البرق، في قوله⁽⁶⁾:

الْكُهْفُ وَالْبَرْقُ فِي أَمْرِهِمَا عَجَبٌ وَآيَةُ فِي جَبِينِ الدَّهْرِ تَنْتَسِجُ
فَفَتِيَةُ الْكُهْفِ لَا يَدْرُونَ كَمْ لَبِثُوا وَفَتِيَةُ الْبَرْقِ لَا يَدْرُونَ مَا نَفَخُوا

وفتية البرق هم فتية ماروت "ويسمون بفتية البرق أو رجال السماء، يخترقون الفضاء بضوضاء وصخب ويقذفون البرق، ويشبهون بالرياح القوية ووظيفتهم الأساسية هي إرسال الأمطار الغزيرة إلى الأرض"⁽⁷⁾.

(1) الجرجاني، التعريفات، ج 1/ص 46.

(2) ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين الجوزية (المتوفى: 751هـ) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط 3، 1416 هـ - 1996 م، ج 3/ص 81.

(3) المصدر نفسه، ج 3/ص 82.

(4) انظر: الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعاتها، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، بيروت، 1970 م ج 3/ص 905.

(5) المصدر نفسه، ج 3/ص 904.

(6) ابن اللبانة، ديوان ابن اللبانة، ص 48.

(7) أودير، كلود، أبو نواس والفتية، نشرة الدراسات الشرقية، مطبعة المعهد الفرنسي للشرق الأوسط، المجلد lx مايو 2012، ص 57.

وجاء وصف البرق في الشعر العربي كثيراً، لاسيما أنه يمثل بشارة خير لأهل الصحراء والبوادي لما يحمله من سقيا لأرضهم وديارهم ونباتهم وحيوانهم، منهم شعراء الجاهلية كامرئ القيس وعبيد بن الأبرص ولبيد بن ربيعة وغيرهم، من ذلك قول امرئ القيس في معلقته الذي أفاض في وصفه⁽¹⁾:

أصاح ترى برقاً أريك وميضه كلمع اليدين في حبي مكلل
يضمئ سناه أو مصابيح راهب أمال السليط بالذبال المفتل

ويقرن عبيد بن الأبرص وصف البرق بصاحبه هند، فيكتسب بعداً رمزياً، يقول⁽²⁾:

يا من لبرق أبيت الليل أرقبه في مكفهر وفي سوداء مركومه
فبرقها حرق وماؤها دفق وتحتها ريق وفوقها ديمه
فذلك الماء لو أني شربت به إذا شفى كبداً شكاء مكلومه

فالبرق هو هند كما ترى⁽³⁾.

وأخذ البرق يستهوي الشعراء كثيراً، لعلهم وجدوا فيه بعداً رمزياً ووسيلة يعبرون بها عن خلجاتهم وأشجانهم، فقد "أكثر الشعراء بعد جرير من ذكر البرق أيما إكثار"⁽⁴⁾، و"جعل الشعراء العرب من الشوق والحنين أصلاً من أصول التعبير، له رموز تشير إليه، وتنساق منه إلى غيره مما يلابسه من المعاني كالهوى والغزل والنفور والقلق وهلم جرا"⁽⁵⁾. والبرق من رموز الشوق الكبرى "وهو رمز بعيد الغور، شديد العمق، وذلك أن فيه معنى النار يرمز إلى خصوبة الأنثى، كما أن فيه معنى السحابة والسقيا"⁽⁶⁾، ومن الرموز المتفرعة عنه ومعاني السقيا أصناف ما يذكرونه من الرياح والنسائم والخزامى والحنوة وهلم جرا"⁽⁷⁾. وفي الشعر الأندلسي. موضوع دراستنا. تجد الشعراء يستفتحون به قصائدهم كثيراً، ويومؤون به إلى عواطفهم المختلطة من شوق وحنين وغيرهما، مما سنجد ذلك مبسوطاً في أثناء هذه الدراسة.

(1) امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس بشرح أبي سعيد السكري، دراسة وتحقيق د. انور عليان أبو سليم، ود. محمد علي الشوابكة، ط1، 1421هـ. 2000م، إصدار مركز زايد للتاريخ والتراث، مج1/ ص277.

(2) ابن الأبرص، عبيد، ديوان عبيد بن الأبرص، ج1/ ص128.

(3) الطيب، المرشد إلى فهم اشعار العرب، ج3/ 902

(4) المرجع نفسه، ج3/ 904.

(5) المرجع نفسه، ج3/ 899.

(6) المرجع نفسه، ج3/ 901.

(7) المرجع نفسه، ج3/ 905.

3. المبحث الأول: البرق والغرض الشعري:

لعل أول ظاهرة تسترعي الانتباه في الشعر الأندلسي هي كثرة ما كان يستفتح الشعراء قصائدهم بدال البرق، وغدا هذا الاستهلال يرتبط بغرض الشاعر وموضوعه، إن مدحاً، أو نسيباً، أو فخراً أو عتاباً أو رثاء، على أن موضوع الشوق والغربة والحنين أكثر ما ارتبط به البرق. وفي هذا يقول حازم القرطاجني: "وتحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة، إذ هي الطليعة الدالة على ما بعدها المتنزلة من القصيدة منزلة الوجه والغرة، تزيد النفس بحسنها ابتهاجاً ونشاطاً لتلقي ما بعدها إن كان بنسبة من ذلك"⁽¹⁾. والاستهلال بالبرق يأتي عادة بأسلوب انفعالي من نداء أو تعجيب أو تهويل أو تشويق ونحوه، "ومما تحسن به المبادئ أن يصدر الكلام بما يكون فيه تنبيه وإيقاظ للنفس السامع أو أن يشرب ما يؤثر فيها انفعالاً ويثير لها حالاً من تعجيب أو تهويل أو تشويق أو غير ذلك"⁽²⁾، لذلك استحسن القرطاجني استهلال ابن خفاجة:

لك الله من برقي تراءى فسلاً وصافح رسماً بالعذيب ومعلماً⁽³⁾. وأصبح هذا المطلع والقصيدة محل إعجاب بعض الشعراء، فحاكوها من حيث أسلوبها وقافيتها، بل وحتى في تعابيرها وصورها كما صنع أبو إسحاق إبراهيم الساحلي في قصيدته التي مطلعها:

تألق نجدياً، فحياً وسلاً وناجى جفوني، فاستهلته له دماً⁽⁴⁾

ولابن خفاجة غير مطلع برقي يسيل ماء وروعة، من مثل قوله⁽⁵⁾:

أفي ما تؤدي الريحُ عرفُ سلامٍ ومما يشبُّ البرقُ نارُ غرامٍ

إننا نجد غير شاعر سلك هذا المسلك الفني في افتتاحيات بعض قصائده، وناسب بين هذا المطلع وموضوعه، فغدا المطلع البرقي ظاهرة فنية في مقدمات القصيدة الأندلسية، ولعل البرق عنصر استفتاح يتصدر كثيراً مقدمات قصيدة المدح، وينسل في النسيب والغزل، من مثل قول أبي زيد عبد الرحمن بن مقان الأشبوني مادحاً إدريس بن يحيى المعتلي⁽⁶⁾:

(1) القرطاجني، حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 309.

(2) المرجع السابق، ص 310.

(3) المرجع السابق، ص 314. والقصيدة في الديوان برقم 178، ص 236.

(4) انظر: طحطح، فاطمة، الغربة والحنين ص 275.

(5) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص 52.

(6) المقرئ، شهاب الدين أحمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 1/ ص 433.

ألبرقٍ لائِحٍ من أنديْنْ ذرفت عيناك بالماء المَعِينْ
لعبت أسيفه عاريةً كمخاريق بأيدي اللاعبينْ

ومن المقدمات تلك التي ينبث فيها البرق مؤثلاً لوحة من الطبيعة، أشبه بباقة ورد تقدم بين يدي الممدوح فيشم عبيرها، فهذا ابن اللبانة يبدأ " بمقدمة تفوح منها رائحة الطبيعة تتصدر مدحة لناصر الدولة (مبشر العامري)، يقول⁽¹⁾:

حنيت جوانحه على جمر الغضا	لما رأى برقاً أضاء بذي الأضا
واشتمَّ في ريح الصِّبا أرج الصِّبا	فقضى حقوق الشوق فيه بأن قضى
والتف في حبراته فحسبتها	من فوق عطفه رداءً فضفضا
قالوا الخيال حياته لو زاره	قلت الحقيقة قلت لو غمضا
يهوى العقيق وساكنيه وإن يكن	خير العقيق وساكنيه قد انقضى
ويود عودته إلى ما اعتداه	ولقلم عاد الشباب وقد مضى
ألف السُّرى فكان نجماً ثاقباً	صدع الدُّجى منه وبرقاً أومضا

و" تبدو هذه المقدمة من المقدمات التي يبرع فيها ابن اللبانة في أن يجمع عناصر الطبيعة كي تتآزر لخدمة الممدوح (فالغضا، البرق، النجم، الصبا، الدجى) كما أبانت الأماكن (الأضا، والعقيق) ملمحاً آخر في انتقال الممدوح من مكان لآخر بأريحية ليدل على قرب هذا الممدوح من القلوب"⁽²⁾.

في حين أن الشاعر نفسه، وقد اعتلته كآبة وحزن جراء ما حدث لأميده المعتمد بن عباد من خلع ونفي، ورأى أن اللقاء به أصبح حلمًا، وهو ما عبر عنه بالبرق الخلب، يقول في مقطوعة مطلعها⁽³⁾:

(1) ابن اللبانة، ديوان ابن اللبانة الداني "مجموع شعره"، جمع وتحقيق د. محمد مجيد السعيد، دار الذاكرة للنشر والتوزيع، ط2، 2008م، 1429هـ، ص81.

(2) غانم، رشاد، تحولات الشعرية في الشعر الأندلسي، قراءة في التشكيل والدلالة، د. رشاد غانم، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط1، 1442هـ. 2021م، ص344.

(3) ابن اللبانة، ديوان ابن اللبانة، ص25.

بروق الأماني دون لقياك خُلبُ ومشرقُ أفقٍ لم تلح فيه مغربُ
 عدمتُ مرادي فيك لا الماءُ نافعُ ولا الظلُّ ممدود ولا الروض مُخصبُ
 ولا أنا في تلك الحديقة زهرة ولا أنا في تلك المجرة كوكبُ
 سقى الله عهداً كنت صيّبَ عهده بمثل الذي قد كنت تسقي وتشربُ

يقال برق الخلب، و برق خلب بالإضافة، و برق خُلب بالصفة، وهو الذي ليس فيه مطر⁽¹⁾، وقولهم "برق الخلب"، يجعلونه مثلاً لكل شيء لا حقيقة له وهو البرق الذي لا مطر معه⁽²⁾، أو يضرب لمن يعد ثم يخلف ولا ينجز⁽³⁾.

إن ظاهرة المطلع البرقي لتستحوذ على عدد غير قليل من القصائد لدى ابن خفاجة وابن زمرك، وابن شهيد، وابن هاني، وابن حمديس، وابن الخطيب، وابن فركون، وعند الشعراء الذين اكتووا بنار الغربة كالرصافي البلسني، وأبي بحر صفوان بن إدريس التجيبي وغيرهم، فتعللوا بالبرق يحملونه أشواقهم إلى أحبّتهم؛ وسلامهم، وطلبهم منه سقيا ربوعهم بالقطر. ولك أن تنظر في قصيدة التجيبي في حنينه إلى بلده مرسية، مساجلاً الرصافي في رأيته في وصف بلده وذكر إخوانه ومعاهده، يستهلها بمناجاة البرق ومخاطبته⁽⁴⁾:

لعلَّ رسولَ البرق يغتنمُ الأجرا فينثرُ عَيَّ ماء عبْرته نثرا
 معاملةً أرى بها غير مذنبٍ فأقضيه دمع العين عن نقطة بحرا
 ليسقي من تدمير قطراً محبباً يقر بعين القطر أن تشرب القطرا

على أن وصف البرق يأتي ضمن وصف مشهد الطبيعة باجتماع عناصرها بما يؤثث مشهداً طبيعياً، ترسم جماله ريشة الشعراء وإبداعاتهم، فهذا ابن خفاجة وبرقيات كثيرة جداً⁽⁵⁾، في وصف الرياض والسحب والليل، فهو يصف روضة غناء مخضرة، ندية، طلقة الجبين من إشراق نواويرها، تبدو البروق عليها بلمعائها

(1) الجوهري، الصحاح، ج 4/1448.

(2) العسكري، جمهرة الأمثال، ج 1/ص 211.

(3) الميداني، مجمع الأمثال، ج 1/ص 28.

(4) ابن شريفة، محمد، أديب الأندلس أبو بحر التجيبي، عمر قصير وعطاء غزير (561هـ . 598هـ)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 1420هـ 1999، ص 106.

(5) انظر ابن خفاجة، الديوان: ص 49، 52، 81، 84، 86، 173، 293.

الأحمر، كأنها ألوية خضبت بالدماء، وأنمل مشبعة بالماء تسح القطر على الروضة بقدر. فالبرق هنا تخلص لأن يكون بدلالة السقيا.

وروضةٍ طَلَقَ جَبِيناً	غَنَاءَ مَخْضَرَةٍ جَنَابَا
يَنْجَابُ عَنْ نَوْرِهَا كِمَامٌ	تَنْحَطُّ عَنْ وَجْهِهِ نَقَابَا
بَاتَ بِهَا مَبْسَمُ الْأَقَاخِي	يَرْشَفُ مِنْ طَلِّهَا رُضَابَا
وَمِنْ خَفَوقِ الْبَرُوقِ فِيهَا	أَلْوِيَةٌ حَمَرَتْ خِضَابَا
كَأَنَّهَا أَنْمُلٌ وَرَادٌ	تَحْصِرُ قَطَرَ الْحَيَا جِسَابَا ⁽¹⁾

ومن سياقات ما يرد وصف البرق فيها الليل والسحاب، وارتباط البرق بهذين أكثر التصاقاً، لكونه يمثل مع الأول ما يجعل منه مسعداً لمن يراقب ليله فيثير في نفسه مشاعر الحنين والذكرى إلى أحبته، ويدخله إلى عالم وجداني، أو قد يمثل عنصر رهبة مع رهبة الليل الكالغ، "وقد أكثر ابن خفاجة من وصفه لليل، لعل ذلك يرجع إلى أن الليل كان وقت أنسه مع أصدقائه في شبابه، قد أصابه الأرق إذا نزح محبوبه، وحاول أن يطمئن نفسه عندما رأى بادرة مما يحب فقد رأى برقاً تطلع من بعيد لعله يسقي الظمآن"⁽²⁾، يقول ابن خفاجة يصف سحاباً، في وقت الليل⁽³⁾:

أَرَقْتُ وَقَدْ نَامَ الْخَلِي لِنَاخِ	تَشَظَّتْ حِصَاةُ الْقَلْبِ فِي حَبِّهِ صَدْعَا
وَمَا شَاقَنِي إِلَّا وَمِيزُ غَمَامَةٍ	تَطْلُعُ فِي نَجْدٍ فَحْيَى الْلَوَى رِبْعَا
أَشِيمُ سَنَاهُ وَالسَّمَاءَ مَغِيمَةً	كَمَا اغْرُورِقَتْ عَيْنِي لِرُؤْيَيْهِ دَمْعَا
فَذَكَّرَنِي وَاللَّيْلُ يَنْدَى جَنَاحَهُ	بِمَعْطَفِهِ خَفَقاً وَمَبْسَمِهِ لَمْعَا

ومثله ابن الزقاق في وصفه سحابة، وكيف أن تلونت قطراتها مع لمع البرق، فكأنه قوس قزح: وكأَنَّ الْبَرْقَ فِي أَرْجَائِهَا أَرْسَلَتْ نَفْطاً بِهِ قَوْسُ قَزَحٍ⁽⁴⁾

ولابن حمديس وصف للطبيعة المتحركة وهي الريح وما لها من تأثير في سوق السحب ليلاً، فيقرن بين الريح الخفيفة وهبوبها لينة في الليل وبين صوت الرعود المدوية في السماء واشتعال البرق الذي يشبه لمعان السيوف، ويوجه خطابه لهذه الريح أن تسوق المطر وتروي به الربوع الظامئة، في حين يطلب منها أن تسوق

(1) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص 339.

(2) غانم، رشاد، تحولات الشعرية في الأندلس، ص 129.

(3) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص 86. وانظر وصفه الليل في قصيدته الدالية ص 82. و ص 84 في وصف الغمام.

(4) ابن الزقاق، ديوان ابن الزقاق، ص 128.

إليه السحاب الجهام اللاتي لا ماء فيهن، ليملأهن من ماء دموعه الغزار، فيسقي ببكائه أرض الوطن وفاء له، وحنيناً إليه، يقول⁽¹⁾:

وريج خفيفة رُوح النسيم سرت وحياتها شفيق الحياة
على ميت الأرض تبكي السماء فمن صوت رعد يسوق السحاب
أطت بليلاً وهبت رُخاء وتشعل في جانبها البروق
بريق السيوق تُهز انتضاء ورويت منه البروع الظماء
لأملأهن من الدمع ماء ويسقي بكائي ربع الصبا
فما زال في المحل يسقي البكاء

لقد بدا لنا جلياً أن للبرق في النص الشعري الأندلسي استفتاحاً وانبثاقاً، حضوراً وتوظيفاً خاصاً، فهز الشعراء نوره ولمعانه، وأوحى إليهم بمعاني شعورية ووجدانية جعلت منه أداة فاعلة في الفعل الشعري، وهو ما سنخصه بمزيد بحث في المبحثين الآتيين.

4. المبحث الثاني: البرق رمزاً شعرياً:

اقترن البرق بعاطفة الحنين والشوق، فهو يذكرها، ويشعلها لدى الشعراء، فبه يمرون إلى عوالم الذكرى والخيال، ومراتع الماضي والأحبة والأماكن الأليفة، فيعد نافذة يعبر بها الشعراء من حاضريهم إلى ماضيهم، ويقصون من أمر هواهم وعشقهم وصبايهم أحسن القصص، ومن هنا فهو من "رموز الشوق الكبرى"⁽²⁾، ووسيلة لتواصل الذات الشاعرة مع الآخر والطبيعة، "والشعراء مما يتخذون البرق وسيلة للاتحاد مع الطبيعة، وما إلى نعت الطبيعة يريدون، ولكننا إلى الإفصاح عن اللواعج التي في القلوب"⁽³⁾. و"كثيراً ما يرد البرق في شعر الشعراء وتأملاتهم الكونية، معبرين بذلك عن شوقهم إلى الديار، لكون البرق يلعب من تلقاء تلك الديار، ولكون البرق يلعب من بعد فهو رمز لبعد الديار التي يحنون إليها ويستشرفونها"⁽⁴⁾.

إن تلکم الرمزية يمكن أن نستجملها في أمرين:

4.1- ثنائيات ضدية في دال البرق:

(1) ابن حمديس، ديوان ابن حمديس، ص3.

(2) الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج3/905.

(3) المرجع نفسه، ج3/902.

(4) الزهراني، مها بنت عبد الله بن سعيد، الاغتراب والحنين بين شعر المشاركة والأندلسيين في القرن السادس الهجري، ط2، نادي الشرقية الأدبي، 1425هـ/2004م، ص241.

إن الشاعر ليجد في البرق رقيقاً يحادثه ويكاشفه بحديث النفس، فيناجيه ويناديه، ويجعله واسطة اتصال بينه وبين الآخر من الأحبة وأمكنهم، وهنا يحاول أن يوظف ما في البرق من دلالات متضادة فهو يجمع بين الماء حيث السقيا، والنار، من ناحية، وبين النور حيث اللعان والظلام حينما يومض في الليل، مما يجعل في البرق بنية تضاد، بمدلولات متنافرة، يقول أحمد بن فرج⁽¹⁾:

وليلتنا بالغور أومضَ بارقٌ حثيثُ الجناح مثلاً ما نبض العرقُ
سرى مثلما يسري الهوى في جوانحي بثنتين من أحواله النارُ والخفقُ
ولاح كأمثال البُرى خُطمَتْ به من الغيم في ليل السُرى أينقُ وُزُقُ
وباتت دياجي الليل منه كأنها أحابيش في أيديهم الأسْلُ الرُزُقُ

فمشهد البرق هنا تجتمع فيه متفرقات المعاني، الحسية والمعنوية، فحرارة الهوى التي تسري في الجوانح كتلك النار المنبعثة من البرق، وهذا المعنى أو هذه الحال والصفة عرض لها غير واحد من الشعراء يستمدون من وهج البرق وناره، حرارة مشاعرهم واتقادها، وتقابل هذه النار الغيم الممتلئة بالماء، ويشكل الليل بظلمته التي شهت بالأحابيش إطاراً لمشهد وميض البرق الذي بدا أسلاً زرقاً.

ونجد هذه الثنائيات تبرز في نص ابن زمرك الذي يفتتحه بخطاب البرق مصغراً⁽²⁾:

أيا بُريقاً بالعقيق أومضاً ونحو سُكَّانِ الغضى تعرّضاً
أُمْبِسْمْ منك استنار في الدجى أم بارقٌ من ثغر ليلي قد أضأ
سقى الأراك ما يُروِّي ظلّها من مدمع جفن الغمام غيضا
حيث اقتضت مني الظباء دينها وقلبي الممطول منها ما اقتضى
يا ساكني وادي الغضا هل جُرْعَةٌ تظفي الذي في القلب من جمر الغضا

إن من معاني البرق التي تطالعنا به هذه المقطوعة معاني وجدانية ومشاعر دافئة، جمعت بين الظاهر والباطن، بين ثنائيات ضدية، ظاهرة وباطنة، فالبرق رمز النور والسناء والإشراق والبياض، في " بريقاً، أومضاً، مبسّم، استنار، بارق، أضأ"، وهو هنا ملمح جمالي ومظهر حسن، رمز به الشاعر إلى حسن ثغر حبيبته ليلي وإشراقه، هذا النور يقابله الظلام في الدجى، واللون الأسود في الظل، وجفن الغمام، فثمة تقابل في الألوان مما يثي بلوحة فنية زاهية، على أنه قد عمق هذه الضدية في الجمع بين الماء والنار، فالبرق رمز

(1) ابن الكتاني، أبو عبد الله محمد الطيب، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 30.

(2) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك، ص 262.

الماء والسقيا والري، في "سقا، يرّوي، مدمع، الغمام، غيّضا"، تقابله النار في "جمرة، الغضا، تطفي"، وإذا كان في قوله "سقى الأراك ما يُرّوي ظلّها" سقيا ظاهرة، فإن الارتواء الحقيقي وهو الباطن، أن يطفئ ما بقلب الشاعر من حرقه الشوق ولوعته، وجمرة معاناته من الفراق يأتي بها من ساكني وادي الغضا، حيث يقيم أحبته، فيشفون غلته، "هل جرعة تطفي الذي في القلب من جمر الغضا". وثمة حالة مفارقة أخرى يجعلها هذا النص، من حيث الظفر بالمأمول من جهة الظباء، بينما ظل الشاعر محروماً من محبوبه، فانظر المفارقة في البنى الآتية: في قوله: اقتضت/ ما اقتضى، الظباء/ قلبي، مني / منها، دينها/ الممطول.

إن بالنص من أساليب النداء والاستفهام اللذين جاءا مثنى، موزعين بين جهتي الموضوع وبين الذات الشاعرة و"النداء هو طلب الإقبال حقيقة أو حكماً بحرف من حروف النداء⁽¹⁾، فالأول نادى به مرة البريق، مصدر السقيا، وفي المرة الثانية "ساكني وادي الغضا"، مصدر إطفاء نار الشوق، حيث حبيبته ليلى، وكذا الاستفهام خاطب به البريق، مرة، وساكني وادي الغضا مرة أخرى. فيما جاءت بنية النداء هنا بحرفي النداء "أيا" و "يا" وهما لنداء البعيد⁽²⁾، بيد أن "أيا" جاءت في نداء البرق وهو قريب من الشاعر إذ يراه رأي العين، أو أنه نودي كذلك لبعده في السماء، في حين تدل "يا" على بعد الشقة بين الذات الشاعرة وبين موضوعها وهو أحبته وحبيبته ليلى، على أنه جاء المنادى في "بريق" نكرة، مصغراً، منصوباً، والتنكير هنا يدل على عدم التعيين، فهو برق يومض وكفى، وفي التصغير تحبب إليه أو إشارة إلى أن قليله يكفي للدلالة على سكن المحبوب، في حين جاء نداء "ساكني الوادي" مضافاً، معلوماً هوية ومكاناً. وتشكلت بنية الاستفهام من حرفي الهزمة، وهل، جاء بعد كل منهما اسم نكرة، مستفهم عنه، "مبسم" و "جرعة" تقدما على فعليهما "استنار، و "تطفي" ليدل على أنهما المقصودان وجنسهما⁽³⁾، وفي هذه الحالة يلزم أن يأتي المسؤول عنه بعد الهزمة مباشرة، وغالباً ما يذكر بعده معادل بعد "أم"⁽⁴⁾. وقد خرج الأسلوبان عن مقتضى ظاهرهما إلى غايات بلاغية، ففي النداء أراد الشاعر من ندائه الأول إشراك البرق في معاناته، بينما في الثاني رغب في الاتصال بأهل الغضا فالغاية هي التمني.

جاء الإيقاع في النص معززاً بارتفاع وتيرة الخطاب، بما يشكل منه بنية بيان وجمال في الآن نفسه، ففي المفتتح حمل عنصر التصريع قوة إيقاعية "فإن للتصريع في أوائل القصائد طلاوة وموقعاً، لاستدلالها به على قافية القصيدة قبل الانتهاء إليها، ولمناسبة تحصل لها بازدواج العروض والضرب وتمائل مقطعها لا

(1) قلقيلة، عبده عبد العزيز، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، ط3، 1412هـ/1992م، ص181.

(2) انظر: المرجع السابق، ص181.

(3) انظر: الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز للجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ص142.

(4) قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، ص162.

تحصل لها دون ذلك" (1)، ويكون هنا بين نهايتي شطري المطلع : أومضاً: تعرضاً، فاتفتحت نهايتا البيت زنة في " متفعلاً" من فروع الوحدة الوزنية للرجز " مستفعلاً"، وروياً في حرف الضاد الشديد النبرة، ذي صفة الاستطالة، معززاً بألف الإطلاق. على أن بنى الإيقاع الداخلية كانت مسعفة في إحداث همس متصاعدة وتيرته، من خلال بنية التكرار الحرفي واللفظي، فتكررت حروف كالقاف: بريقاً، العقيق، بارق، اقتضت، قلبي، وحرف الضاد وما أحدث من ترددات وصدى لحرف الروي في: أومضاً، الغضى، تعرضاً، أضاً، ظلها، غيضاً، اقتضت، اقتضى، الغضا. وكذلك تكرار حرف السين مما ينبئ على أن صوت الصفير قد وجد سبيلاً إلى فضاء التجربة ليرفع همسها ورقمها. ونلاحظ هنا في تكرار دوال بعينها وهن حوامل تجربة الشاعر: البريق/ بارقا، الغضا وقد تكررت ثلاث مرات، القلب مرتين، اقتضت/ اقتضى، سكان/ ساكني.

4.2- بنية شعر البرق:

إن البرقيات تمثل تجربة وجدانية عميقة أقرب أن تكون تجربة حب عذري، زاخرة بالحديث عن المشاعر والأحاسيس المفعمة بالوجد والشوق والحنين، والترقب والانتظار، بل الأرق والسهر جراء معاناة الذات الشعرية من لوعة الاشتياق والصبوة، والاكتواء بنار الهوى والغرام، وبذكر أماكن وديار المحبوبة، ويكون البرق مثيراً من مثيرات الاشتياق للأحبة ولأرضهم التي يومض البرق من تلقائها، فيذكر بساكنها، وبالزمن الجميل الذي مضى فيه معهم، حيث الأنس والسرور تدار أكوّسها مترعة دهاقاً، فالبرق مشعل الذكريات، ومصدر الحالة النفسية المتأزمة التي تكون عليها الذات الشاعرة من تمزق وتشظٍ بين حرارة اللحظة الراهنة التي تتطلع إلى أن يطفئها ذلكم البرق بالدلالة على مكان الأحبة، لكنه يزيد لها ويؤججها أكثر، وفي ظل هذه الحالة من الفوران العاطفي، تلتفت الذات بحثاً عن السقيا والارتواء من خلال سرد شريط الذكريات الجميلة، وذرف الدموع وتحميل البرق إيصال التحية والسلام، للأحبة، وسقيا ربوعهم بدموعه وقطر المطر.

لعل أول معنى يطالعنا به شعر البرق أن البرق هو محفز ومثير من مثيرات الشوق، فإن " من رموز الشوق الكبرى البرق... وهو رمز بعيد الغور، شديد العمق، وذلك أن فيه معنى النار يرمز إلى خصوبة الأنثى، كما أن فيه معنى السحابة والسقيا" (2). لذا، فإنه يقترن بالشوق في استهلاكات نص شعر البرق أفعال من مثل " هاجني، شاقني" على نحو قول ابن خفاجة (3):

(1) القرطاجني، أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب الخوجة، ط، 3 دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان 1986، ص 283.

(2) الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب، ج 3/901.

(3) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص 173. وانظر أيضاً: ص 49.

وما هاجني إلا تالِقُ بارِقٍ لبستُ به بُرْدَ الدُّجْنَةِ مُعلِما
تَلَوَى هَدَوًّا يَسْتَطِيرُ كأنما أروغُ به في سُدفَةِ الليل أرقما
إذا خَطَّ سَطْرًا بينَ عَيْنِي مُذهَبًا تداركه قطر الدموع فأعجما
حملتُ له قلباً جباناً ومدمعاً شجاعاً إذا أعجم الصبرُ صمما

فالبرق هنا عنصر محفز ومهيج لأشواق الشاعر، وهو يلتصق في ظلام الليل، فيرسم في سواد الليل خطوطاً بيضاء لامعة أشبه ما تكون بثوب أسود معلم يرتديه الشاعر في الليل البهيم، ثم يجنح به خياله، فيتراءى له البرق في التماعه وانتشاره في الفضاء كالحية التي تتلوى زاحفة في الظلام الحالِك وقد راعها أحد فدعرت هاربة، كما أن هذا البرق مع كل ومضة من ومضاته يروع فؤاد الشاعر بالأشواق ويملؤه بالحنين، فما يزال يجيل بناظره فيه حتى لكأن ضوءه يخط بين عينيه سطوراً ذهبية، فتطفر دموعه لتعجم تلك السطور، وبإزاء هذه الأشواق الحبسية، فإن هذا البرق يخلف للشاعر قلباً ضعيفاً مفعماً بالحنين، ومدمعاً شجاعاً دائم التهمتان إذا نفذ صبره وفرغ بقيا على تصميميهما وثباتهما، القلب على جنبه في الرجوع عمن أحب، والدمع في جرأته في إرسال الدمع واستنزافه⁽¹⁾.

ولابن هانئ الأندلسي حديث عن البرق والشوق، منها قوله⁽²⁾:

أشاقك باللوى برقٌ ألاحا فجُنَّ به جنائك حين لاحا
كأنَّ البرق في الظلماء سرٌّ تضمَّنَ غير كاتمهِ فباحا

فنجده يعتمد إلى أسلوب التجريد بالحديث عن نفسه بصيغة المخاطب، فيفتتح بالفعل "أشاقك" بصيغة الاستفهام وهو "من العناصر المثيرة التي توقظ وتنبيه وتبرئ النفس، ولذلك كثرت في مطالع القصائد"⁽³⁾ وقد خرج بلاغياً إلى معنى التعجب من حاله من فعل البرق به، كأنه مسه مس، وارتعاشة وهزة، نالت من قلبه، ولك أن تقف عند ظلال "فجُنَّ جنائك" في أثر ما صنع به هذا الشوق من هزة في كيانه، مست شغاف القلب، وإن كان للفعليين "ألاحا، ولاحا" معنى واحد؛ يقال: لاح الشيء يلوح، إذا لمح ولمع، وألاح البرق/ أومض⁽⁴⁾، لكن ما بينهما من الجنس والمشكلة الصوتية قد أنتج لنا دلالة مضاعفة من

(1) انظر: الزهراني، الاغتراب والحنين، ص321.

(2) الأصفهاني، الخريدة، ج1/ص258.

(3) أبو موسى، محمد محمد، قراءة في الأدب القديم، ط4، 1433هـ. 2012م، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، مصر، ص هـ.

(4) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5/ص220.

اللمعان وكثافته، وحالة الشاعر المتألّمة عززها صوت الحاء ودلالته "في التعبير عن الألم والتلذذ"⁽¹⁾، ويومض هذا البرق من تلقاء "الوى" وهي رمز للوطن الأليف، فيأخذ بلبه ويطيّر فؤاده، وأفشى سره المكنون وما تلك الأسرار غير الشوق الذي يملأ جوانحه، ويعمد إلى إشراك حمائم البان الصادحة، ويجعلها تقاسمه شوقه وشجوه، وتذري دموعه فينوح لنواحيها ويشجو لشجوها:

وقاسمني صدوح البان شجوي فأجريت الدموع له وناحا

إن للبرق فعلاً ساحراً في النفوس المرهفة التي تكتنم حباً ووجداً، فيروعها سناه وينبش الشوق من أعماقها، ويهيج بلباله، كما وجدنا ذلك عند ابن المرباط وهو يحن إلى مدينته تدمير⁽²⁾:

سرى بارقٌ من أرض تدمير موهناً فهيجَ بلبال المشوق وما درى
وما ذاك إلا أنها المنزل الذي هصرْتُ به غصن الشببية أخضرا

فبمجرد رؤيته للبرق يومض من تلقاء مدينته ليلاً، "سرى" إلا انتشى واشتعلت جذوة شوقه وحنينه إليها. إن الناظر في شعر البرق تستوقفه تجلياته العاطفية والوجدانية، وأبعاده الرمزية، يمتلك البرق فيه زمام التأثير العجيب على الذات الشاعرة، ويغدو سبباً في تحفيز الذات نحو سرد حكاية عشقها وأشواقها ومعاناتها وتجربتها العاطفية، ومن ثمة يحضر البرق مكوناً مهماً في هذه التجربة ويمتزج بها وبالذات الشاعرة، ويمتد منه إليها من دلالاته على السقيا والنور أو النار، بالومض واللمع والخفقان والانتشار في السماء والليل، والتماحه من أماكن بعيدة. ومن هنا فإننا سنقف على أبرز تجليات البرق العاطفية بالحديث عن الأرق والدموع واسترجاع الذكريات، وذكر الأماكن، وسقياها، وغيرها من لوازم ومكونات مشهد الشوق /البرق.

اقترن مشهد البرق بذرف الدموع، وهي تمثل البرق في بعده المائي، فثمة علاقة في هذا الاقتران، فالبرق رمز للشوق، والشوق يفضي بصاحبه إلى حالة من التأثر يحمله على ذرف الدموع، فالبرق في النهاية هو سبب في خلق هذه الدموع "الماء" فالدموع مكون من مكونات مشهد البرق العاطفي، يقول ابن زيدون في مطلع مخمسة له وقد أنشدها وهو بالسجن⁽³⁾:

تنشّق من عرف الصّبا ما تنشّقا وعأوده ذكرُ الصّبا فتشوقا
وما زال لمع البرق لما تألّقا يهيب بدمع العين حتى تدقّقا

(1) الجراي، عباس، فنية التعبير في شعر ابن زيدون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1977، ص 43.

(2) ابن المرباط، زواهر الفكر، ج 1/ص 103.

(3) ابن زيدون، ديوان ابن زيدون بتحقيق علي عبد العظيم، ص 156.

وهل يملك الدمع المشوق المصّباً

ففي " غمرة الأشواق يلمع البرق ويتألق، ولا تكاد ترى البروق في الشعر العربي القديم إلا مقترنة بالأشواق الغامضة، والمشاعر الكثيفة المختلطة، وانظر أنى شئت في أرجاء هذا الشعر فإذا شمت برقاً يلمع فاعلم أن ثمة موقفاً إنسانياً تثقله العواطف المختلطة الغامضة. وما زال هذا البرق يلح على هذا المحزون المشوق، ويوقظ من أشواقه ما أغفى، أو طاف به طائف من نعاس، حتى تدفقت دموعه ساخنة غزاراً⁽¹⁾. إن هذا المطلع من الشيات الأسلوبية جعلته مشحوناً بالهيجان العاطفي الذي أذكته نيران الشوق "لقد أتى الفعل "تنشق" مضعفاً على صيغة "تفعل" التي تفيد التدرج والتكلف، معزراً دلالة العناء النفسي الذي تكابده الذات الشاعرة. وإن لحرف الروي "القاف" المشبع بألفات مد، في "تنشقا، تشوقا، تألقا، تدفقا" دلالة على حالة الهيجان العاطفي⁽²⁾" وختم هذا المقطع الخمس "بتعليق، يستهله بأسلوب استفهامي: "وهل يملك الدمع المشوق المصّباً"، استفهام خرج بلاغياً إلى دلالات عدة، منها التقرير والإثبات، والتسليم بالقدر، أو النفي، بمعنى أن هذا المشوق لا يملك من أمره شيئاً، حتى الدمع، فلا يتحكم فيه، فيتدفق دون إرادة منه، دلالة قوية على عمق الأشواق التي تعصف به"⁽³⁾، واستحالت الدموع رمزاً لحالة الغرام والهيام.

ومن مظاهر مشهد البرق /الشوق، الأرق والسهر، فكثيراً ما يقترن فعل الأرق بالبرق علة له أو استصحاباً، ونجد المشوق يسامر النجوم والكواكب ويرعى الليل، ويراقب البرق لعله يومض من تلقاء أحبته، فيشب نار شوقه، وإنا واجدون علاقة خفية بين البرق والساھر فإن عينيه تظان بارقتين لامعتين، دون نوم، يلمع بريقهما كما يلمع البرق.

ويتردد فعل "أرقت" أو أسهر" ونحوهما، ففي مدحية لابن سهل الأندلسي يفتتحها بالأرق لرؤية البرق⁽⁴⁾:
 أرقتُ لبرقٍ بالحمى يتألقُ فقلبي أسيرٌ حيث دمعِي مطلقُ
 إذا فُهِتْ بالشكوى ترنم صاحبي كما طارح الغصنَ الحمامُ المطوقُ
 فبتنا قريني لوعة نصطلي بها كأنا على النار الندى والمحلّق
 نقضي ديون الشوق حتى قضى على غراب الدُّجى بازي الصبح المحلّق

(1) رومية، وهب، شعر ابن زيدون، قراءة جديدة، ص 117.

(2) باوزير، خالد عمر، الخمس الشعري عند ابن زيدون، مجلة إربد للبحوث، العدد 3، م 26، 2024م، ص 180.

(3) المرجع نفسه.

(4) ابن سهل، ديوان ابن سهل الأندلسي، قدم له د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980، ص 246.

فيتصدر المطلع الفعل "أرقت" وهو نفار النوم ليلاً⁽¹⁾، فثمة حال من المعاناة اعترت الذات الشاعرة، جراء مطالعته برقاً يتألق من الديار "الحى"، فكانت النتيجة، أن فاء النص ببنية من التضاد اللغوي، في قوله: "فقلبي أسير/ دمعي مطلق"، بين الأسر والإطلاق، مما يعني حالة من التوتر والقلق، فالقلب في نوبة من الحزن حيل بينه وبين ما يشتهي ويشتاق فهو أسير محاصر، في حين أطلق سراح الدموع لتعبر عن مكنون المشاعر ولواعج الشوق. وتبلغ التجربة مبلغاً من الحرارة لترسم لنا كيف أشعل وميض البرق نار الوجد والشوق، فجعل الذات الشاعرة العاشقة تصطلي وتتحرق لوعة، وفي المشهد يتراءى الحمام المطوق ليعزز هذا الشجن الوجداني، فكل ينوح على صاحبه، على أن قاسمهما الأرق والسهر مما بهما من الشوق والشكوى، فباتا كلاهما يصطليان بنار اللوعة حتى شعشع الصبح بنوره.

وكثيراً ما عانى ابن خفاجة من الأرق، فظل يراقب السماء لعل بارقاً يومض فيشاركه همه وسهره، ويتخذة رفيقاً رسولاً يحمله أشواقه وتحياته وسلامه إلى أحبته من حيث يلمع، يقول:⁽²⁾

أرقتُ وقد نام الخلي لنازح	تشظّت حصاة القلب في حبه صدعا
وما شاقني إلا وميض غمامة	تطلع في نجد فحيى اللوى ربعا
أشيم سناء والسماء مغيمة	كما اغرورقت عيني لرؤيته دمعا
فذكرني والليل يندى جناحه	بمعطفه خفقا ومبسمه لمعا

فالتجربة تفتتح بالفعل "أرقت" في بنية تضاد مع "وقد نام الخلي"، والذات متشظية ممزقة في حب من غاب عنها، فمن يأتيها بخبر عنه؟ فيلمع برق فيلهب شوقه أضعافاً، وقد أتى فعل "شاقني" في سياق قصر، دلالة على أن هذا الشوق إنما كان بفعل وميض البرق وتألقه، وتتجاوب معه الدموع، وانظر إلى صيغة الفعل "اغرورقت" التي تنتج لنا دلالة من الإغراق حد الغمر والامتلاء من الحزن والأسى.

ونجد فعل البرق في تجربة ابن زمرك، قد أسهره، وما كان له أن يسهر مطالعاً للبروق اللمع لولا غياب محبوبه، فكان أن غدا البرق معادلاً موضوعياً لمعاناته، ولك أن تتأمل في توظيف الشاعر لحرف التمني "لو" مرتين وهي في أصل وضعها حرف امتناع لامتناع، "وفي التمني بها الإشعار بعزة المتمنى وندرته، والتأكيد على استحالاته أو صعوبته"⁽³⁾، فيسهر بمعية البرق عله يبل غلته، فإذا ما أومض زاد شوقه وحنينه، وإذا به يدخل في نوبة من البكاء، ويناشد هذا الرفيق "البرق" أن يقضي له لبانته كيما يسكن ويذهب عنه جزعه⁽⁴⁾:

(1) انظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 1/ص 82.

(2) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص 86. وانظر أيضاً ص 81.

(3) قلقليلة، البلاغة الاصطلاحية، ص 178.

(4) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك، ص 267.

ما كنتُ أسهرُ للبروق اللُّمَعِ لو كان من علق الفؤاد به معي
لكن إذا قدح الوميض زنادها قدحت زناد صبابتي وتولَّعي
يا بارقاً بالجزع إنَّ لبانةً بالقلب لو قضَّيتها لم أجزع

ثم يرجع ليعتذر عن البرق بأنه وإياه لفي محنة واحدة من الوجد فهو خفوق، يسح الماء كدموعه:
عجباً له يندى على كبدي وقد أذكى بقلبي غلةً لم تنقع
كم ذا أعلل بالوميض وإنه مثلي خفوق القلب سحُ المدمع

والأشواق تتدافع على قلب ابن زمرك بفعل التماح البرق، فأنت تراه يشدو في جواب عن رسالة وردته من الفقيه أبي الحسن بن حيان من أهل وادي آش، افتتحه بحديث البرق، راكباً حرف الضاد⁽¹⁾:

يا بارقاً بالجزع قد أومضا قلَّبت قلبي بين ذات الغضا
أ خافقاً كالقلب قد لُحَّتْ أم لسان أفعى في الدُّجى نضنضا
تركته يستقبل الشوق من تذكاره العهد الذي قد مضى
أيام كنا والصِّبَا مرتعُ وملعب الأنس رحيب الفضَا

ويقترن البرق بالذكريات، فهو واسطة لاسترجاعها، ويبرز هنا موضوع الغربة والاعتراب عن الوطن، ويكون البرق في نص الغربة والحنين معادلاً موضوعياً للذات الشاعرة عن الفقد والغياب، كما عند ابن حربون الشليبي الذي اكتوى بنار الغربة، فيقول⁽²⁾:

لله ما هاج لمع البرق الساري على فؤاد غريب نازح الدار
كان الصبا وطري، إذ كنت في وطني فقد فجعت بأوطاني وأوطاري
فأين تلك الرِّبى والساكنون بها وأين فيها عشياتي وأسحاري

(1) المصدر نفسه، ص206. وانظر مزيداً من حديث الشوق والبرق الديوان ص211.

(2) التجيبي، أبو بحر صفوان، زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر، تحقيق عبد القادر محداد، بيروت، 1358هـ. 1939م.

ص89، و " زاد المسافر بتحقيق د. ابن شريفة ضمن كتابه " أديب الأندلس، أبو بحر التجيبي، ص341، وانظر مطلع القصيدة في الرصافي، ديوان الرصافي البلسني، ص97.

"لقد هيج البرق قلب هذا الشاعر الغريب النازح الدار، وغالباً ما يلاحظ أن البرق واسطة للذكرى ودافع الحنين في مثل هذه القصائد، خاصة عند ابن خفاجة وابن الخطيب"⁽¹⁾، وجاء المفتاح فيه من التعجب، مستعملاً "لله" وقد يستعمل "لك الله"، وهو أسلوب تعجب يعتمد إليه بعض الشعراء في استهلالاتهم على نحو ما نجد عند الشاعر محمد بن هاني الأندلسي، يقول⁽²⁾:

لك الله من برق بنعمان أبرقا وصافح رثماً بالكثيبين والنقا
ألاخ وعمر الفجر في أخرياته فغادر للظلماء جيباً مشقاً
وما حاجني إلا رنين مطوّق أقام على الأغصان يدعو مطوّقا

وعند ابن خفاجة في قوله⁽³⁾:

لك الله من برق تراءى فسلما وصافح رسماً بالعذيب ومعلما
إذا ما تجاذبنا الحديث على السرى بكيت على حكم الهوى وتبسما

"لقد استهل القصيدة بمخاطبة البرق، ذلك البرق الذي لم يكن صديقاً للشاعر في يوم من الأيام، بقدر ما هو مستفز لمشاعره، مثير مخاوفه؛ إذ مقابل بكاء الشاعر وألمه، يتسم البرق ساخراً، شامتاً... يأبى أن يشاركه عواطفه"⁽⁴⁾.

و تحضر بنية المكان مع الذكريات بشكل لافت، لاسيما الأماكن البدوية والنجدية من لعل، ورامة، والعقيق، العذيب، الجزع، والأجزع، والرقمتين، والغضا والنقا والكثيبين، وغيرها، وهي أماكن ذات بعد رمزي على الوطن الغائب أو المسلوب، وهو أسلوب سلكه مهيّار الديلمي والشريف الرضي⁽⁵⁾. من ذلك حين أبي إسحاق إبراهيم الساحلي الذي وصفه ابن الخطيب بأنه جواب آفاق، ومحالف الرفاق، ومنفق سعر الشعر كل النفاق... ارتحل إلى السودان بعد أن أصاب الكساد شعره، يقول⁽⁶⁾:

(1) طحح، الغربية والحنين، ص 242.

(2) الأصفهاني، الخريدة، قسم شعراء مصر، ج 1/ص 276. وانظر أيضاً، ص 271.

(3) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص 178.

(4) طحطح، الغربية والحنين، ص 226.

(5) المرجع نفسه، ص 275.

(6) ابن الخطيب، لسان الدين بن الخطيب، الكتبية الكامنة في من لقيناه من شعراء المائة الثامنة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط 1983، ص 235، 256.

وناجى جفوني فاستهلت له دما
حذا حذوه في السقم حتى تعلّما
وعاد بأشواقى فعاد مضرما
تهلل في بهمائه وتبسّما
جزاء ليلى إذ أعارته مبسما
منازلُ تيم بعد تيم أم الحمى
تنفس من أحشائه وتكلما

تألّق نجدياً فحيّا وسلّما
يرقّ ويخفى مثل جسمي كائنما
وطارح أحشائي فأصبح خافقاً
وأوضح ثغراً كلما قطب الدّجى
وجاد ديار العامرية بالنقا
أبارق ذات الأبرقيين: أحاجر
ولي كبّد، مهما رأى البرق وهنة

وهي قصيدة تتدفق حنيئاً وشوقاً، وقد ألهمها ذلكم البرق اليماني، الذي ذهب يتماهى معه الشاعر وكأنه مرآة يرى فيها نفسه في الخفوق وقدح الأشواق وسيلان الدموع دماً، وقد زخر النص بالأمكنة" إن ذكر الأماكن الحجازية في هذه القصيدة، منازل تيم، حاجر، نجد، تهامة، وذكر اسم ليلى والأهل والركب الماضي بعيداً، كلها رموز إلى أشواقه العارمة المهيمة"⁽¹⁾.

ولابن الخطيب قصيدة نظمها بمناسبة المولد النبوي، يأتي مطلعها على نسق مطلع قصيدة الساحلي، مثل البرق سلطان القلب فهو قد أحيى الشوق في قلب الشاعر، كما بث الحياة في الكون بماء غمامته الذي تدفق، ثم نجده يخلص إلى وصف الطبيعة وصفاً فنياً رائعاً، وتصويراً تشخيصياً للبرق، يقول⁽²⁾:

وهاج لي الشوق المبرّح والوجد
فمدّ يداً بالتّبر أعلمت البردا
فما بذلت وصلاً، ولا ضربت وعدا
فأهوى لها نصلاً وهددها رعدا
ذلّولاً، ولم تستطع لإمرته ردا
وحلّ المزّن من جيدها عقدا
يدُ الساهر المقرور قد قدحت زندا

تألّق نجدياً، فأذكرني نجدا
وميضُ رأى بُزْد الغمامة مغفلاً
تبسّم في بحرية قد تجهمت
ورود منها فاركأ قد تمنعت
فأغرى بها كفّ الغلاب فأصبحت
فحلّتها من شفق الضحى نضاحا
لك الله! من برقٍ كأن وميضه

(1) طحح، الغربة والحنين، ص 276.

(2) ابن الخطيب، ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماي، صنعه وحققه وقدم له الدكتور محمد مفتاح، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء - المغرب، بط 2، 1428هـ، 2007م، ص 346.

جاء المفتتح مضمر الفاعل "البرق" دل عليه فعله وهو التألق، ومكانه "نجدياً، وأسند إليه أفعالاً تحمل دلالات الإغراء والإغواء:" تبسم، راود، أغرى"، دلالة على قدرة البرق في إغواء الذات الشاعرة والسيطرة على مشاعرها، مما أفضى بها إلى أن تتعجب منه تعجباً. ثم إن البرق يأخذ هويته من مكان وميضة، فهو عند ابن الخطيب هنا نجدي وعند ابن زمرك أيضاً⁽¹⁾، لكن أكثر ما يرد البرق عند غير شاعر بهويته اليمانية كما عند ابن خفاجة والساحلي الذي مر آنفاً، وابن زمرك، وأبي بكر بن الخطاب الغافقي. ومن تمام التجربة أن يحمل البرق سلام المشوق إلى أحبته، فهو نعم الرسول المؤمن على تبليغ التحية والسلام، لذا، عدت التحية والسلام ابتداء أو اختتاماً من مهمة البرق وبعده الرمزي، يقول ابن زمرك في قصيدة بناها على حرف الياء المطلق، - تذكرنا ببياتي المتنبى وابن خفاجة - مشحونة بالشوق والوله والرغبة في الاتصال بالمحبيب، ولو عبر السلام⁽²⁾:

سلوا البرق مصقول الصفيح يمانيا	أُبْلِغُ من رَدِّ السلامِ الأمانيا؟
فيحمل عني للحبيب تحيةً	وبرجعها تُهدي إليّ أمانيا
بأية ما أعداه قلبي خُفوقه	فأعدى بمنهل الغمام المآقيا
عجبت له أبكي وقد بات ضاحكاً	وهل يُسعد المشتاق من بات ساليا
ومالي وللبرق الخُفوق أشيمه	ولولا عوادي الحب ما قلت ماليا

إن تجربة الحنين إلى الوطن لينهض بالتعبير عنها والرمز إليها البرق، فيأتي النص الشعري مكتملاً من أوله إلى نهايته وللبرق هيمنة في توجيه بوصلته، وإتمام حكايته، ولنا أن ننعت هذه القصيدة حينها بقصيدة البرق، ونمثل لها بقصيدة أبي بكر بن الخطاب الغافقي (ت 686هـ) ومحورها الحنين إلى الوطن⁽³⁾:

(1) انظر: ابن زمرك، ديوان ابن زمرك، ص 379.

(2) المصدر نفسه، ص 211.

(3) - البلوي، خالد بن عيسى، رحلة البلوي المسماة " تاج المفرق في تحلية علماء المشرق"، مقدمة وتحقيق الحسن السايح/ مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ج 1/ص 151، 150.

سَرَى الْبَرْقُ⁽¹⁾ فَارْتَاعَ الْفُؤَادُ لِمَوْضِعِهِ
تَبَدَّى كَعِرْقٍ فِي الْغَمَامَةِ نَابِضٍ
سَجَدْتُ لَهُ لَمَّا تَرَأَى يَمَانِيًّا
وَقَضَيْتُ مِنْ حَقِّ الصَّبَابَةِ وَاجِبًا
وَذَكَّرَنِي عَصَرَ الشَّبَابِ وَطَيْبَهُ
وَعَهْدًا شَدَدْنَا عَقْدَهُ بِيَدِ الْوَفَا
فَيَا سَارِي الْبَرْقِ الَّذِي ضَاعَفَ الْأَمْسَى
أَعْنَدَكَ مِنْ أَهْلِ الْعَقِيقِ رِسَالَةٌ
وَالَّا قَبَلِغُهُمْ تَحِيَّةٌ مُوجِعِ
وَجَرَّدَ عَلَى وَاوِيهِمْ ذَيْلَ دِيَمَةٍ
حَنِينِي إِلَى الْوَادِي لِأَجْلِ جَوَارِهِمْ
فَبِتُّ وَجَفَنِي لَمْ يَذُقْ طَعْمَ غَمَضِهِ
يَدُلُّ عَلَى سُقْمِي تَوَاتُرُ نَبْضِهِ
وَأَكْمَلْتُ مِنْ دَمْعِي طَهُورِي لِفَرْضِهِ
بَرِئْتُ مِنَ الْعُشَّاقِ إِنْ لَمْ أَقْضِهِ
وَعَيْشًا تَحَلَّيْنَا مَلِيًّا بِغَضِّهِ
فَلَا بَطَشْتُ كَفُّ تَمَدُّ لِنَقْضِهِ
عَلَى دَنْفٍ مَا زَالَ يَشْقَى بِنَضِّهِ
أَقَارِضُكَ عَنْ إِبْلَاغِهَا خَيْرَ قَرَضِهِ
يُعَانِي الَّذِي يَنْهَدُ رَضْوَى لِبَعْضِهِ
تُنْمِنُ بِالْأَزْهَارِ صَفْحَةً أَزْضِهِ
مُجَاوِزَةَ الْمُخْفُوضِ تَعْدَى بِخَفْضِهِ

تجلت تجربة ابن خطاب في النص من خلال فعل البرق في الذات الشاعرة؛ (ارتاع، بتُّ، سجدتُ، قضيت، ذكرني) قصة مبدؤها سُرَى البرق، وحدثها التأزيم ارتياح الفؤاد، ونتيجتها البيات الأرق والسهاد، ونهاية مطافها الحنين إلى الوادي. فالقصيدة تنشطر شطرين، شطر يجري على شكل سرد خبري، يكشف عن حالة تأثر الذات الشاعرة بالتمتع بالبرق وسراه، ففجر فيها لواعج الشوق وسلب عنها النوم، وأقض مضجعها، ونقلها إلى عوالم الذكريات الجميلة حيث زمن الشباب الذهبي، وزمن الوصال دون نكد أو خوف، ليأتي الشطر الثاني مفارقةً في أسلوب الشطر الأول، فكله أو جلّه أمنيات وتطلعات، فهو يجري بأساليب إنشائية من نداء واستفهام، وأمر، ليكشف عن مرارة الفقد للماضي والمكان والذوات، ليختم النص بجملة الحنين السارية مع الشاعر للديار سُرَى البرق في الأفاق.

5. المبحث الثالث: البرق والصورة الفنية:

تعد الصورة الفنية وسيلة من وسائل التعبير الشعري، بل تقع في أعلى سلم الأدوات الشعرية، وهي لا تنفصل عن التجربة بل تكشفها إذا أحسن توظيفها، وامتزجت بإحساس الذات المبدعة، فعبرت عن

(1) ورد في رحلة البلوي (سرى البدر)، لكن الصواب سُرَى البرق؛ لوجود إشارات ودلائل لفظية ومعنوية في القصيدة تدل على ذلك كالومض، والغمامة، والعرق، ويمانيا... إلخ. انظر شعره في: ابن خطاب، أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود، فصل الخطاب في ترسيل الفقيه أبي بكر بن خطاب"، دراسة تحقيق الدكتور فتيحة العربي، أطروحة دكتوراه مخطوطة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، 2005م، ج2/ص334.

مكوناتها ومشاعرها، ومن هنا تكتسب حيوية وتألقاً. تشكل البرق في مخيلة الشعراء في صور فنية بديعة " فهو لا شك من الحوافز القوية التي تشعل فتيل الأشواق، وتمدها بالدفء والحرارة، فتسري فيها الدفقات، خاصة أنه يلوح بالليل ويومض سريعاً، فيشحن الأجواء المحيطة بشحنات من الإثارة خلال تلك اللحظات التي يلتصق فيها، وكثيراً ما يصادف ذلك الإيماء القلوب المثقلة بالحنين والمتوقدة بالأشواق، والعيون الممتلئة بالدموع"⁽¹⁾.

وقد أبانت هذه الصور البرقية عن أبرز سمات البرق وخصائصه من حيث اللمعان، والشكل، واللون، والسرعة، وعلاقته بعناصر الطبيعة المصاحب لها من رعد وسحب، وليل، وعلاقته بالذات الشاعرة وتعبيره عن شجنها. ومن هنا يمكن ملاحظة أن توظيف البرق فنياً واتخاذ عنصر بناء وتشكيل قد سار في مسارين مختلفين تارة، ومتداخلين تارة أخرى؛ فالمسار الأول نجد فيه البرق يصور تصويراً شكلياً، من الخارج، دون أن يثير فينا إحساساً أو تعاطفاً غير الإعجاب بصورته المتخيلة الجديدة، ذلك أن "التصوير الفني حينما يصبح الغرض منه إرضاء الحس الظاهري يفتقد إلى قدر كبير من وظيفته الإيحائية والتأثيرية"⁽²⁾، والمسار الثاني يوظف فيه البرق توظيفاً شعرياً، ينسل داخل التجربة، ويعبر بصفة من صفاته أو أكثر عن معنى شعري، ويتخلق البرق خلقاً آخر، فيتلبس بصفات الإنسان من تبسم، وتكلم وإلقاء السلام.. في صورة تحويلية تشخيصية ناطقة، ومن هنا تتجلى الوظيفة الشعرية في الصورة الفنية.

ونقع في التشكيل الصوري للبرق على مفارقات في تصويره، من حيث رفته وقوته، أو حسنه وجماله وبشاعته وقبحه، ولعل منبع هذا التنوع في التصوير اختلاف أحوال الذات الشاعرة موقفاً وسياقاً ورؤية في علاقاتها داخل النص الشعري تجاه الآخر.

إننا واجدون أن شعراء الأندلس قد افتنوا في وصف البرق وتصويره كما أطلعنا كتاب "التشبيهات لابن الكتاني" على مختارات دلت "على مبلغ ما بذله الشعر الأندلسي من عناية بالصورة في دور مبكر من تاريخه، حتى أصبح طلب الصورة فيه غاية كبرى، بل أصبح بعد زمن أكبر غاية"⁽³⁾.

لعل أكثر ما وقف الشعراء في تصوير البرق، على سناه ووميضه ولمعانه، وذهبوا في مقارنة هذا اللمعان طرائق شتى، فحضر العنصر الإنساني في هذه الصور من حيث شبهوا ذلكم الوميض بالتبسم أو الابتسام والمتبسم، أو بالحسنة تفتت عن ثغرها، أو بالزنجي يفتت عن أسنانه، ونبضه بالعرق، ورقته بنحول العاشق، وحيوانياً صوره بعضهم في تلويح بالأفعى أو الأرقم، أو بلسانها، وفي انفلاته من قبضة السحب وهو يراوغها بالفرس الأشهب، وفي شدة بريقه بالسيف الصقيل أو المصفح والرمح، أو غير ذلك.

(1) الزهراني، الاغتراب والحنين، ص 217.

(2) المنصوري، أحمد مقل، اللون في الشعر الأندلسي حتى نهاية عصر الطوائف، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ. 2004م، ص 246.

(3) ابن الكتاني، كتاب التشبيهات، المقدمة ص 16.

ومن هذه النماذج التي اجتمع للبرق فيها من تعدد المشبه به له، إذ نجد الشاعر المصور يثبّت عليه عدسة تصويره ويلتقط له صورة أو صوراً عديدة من زوايا مختلفة، يبدو البرق وكأنه في حفلة استعراض أو عرض أزياء، فتارة تخاله نصلاً وسهماً، أو سناناً، في قوته ورهيبته، وتارة أخرى كأنه جمر من نار، أو مرآة صقيلة في لمعانه وإيماضه، أو ابتسامة كاعب أو حلما، وهو في هذه اللوحة يبرز البرق منفرداً، متعدد الصور واللامح، موظفاً ما به من خصائص السطوع واللمعان والضياء والتألؤ. وفي هذا يقول ابن الخطيب⁽¹⁾:

يا هل ترى البرق بدا كالْمُنْصَلِ
هَزَّتْهُ بِالْخَبْرَةِ كَفُّ الصَّيْقَلِ
أو كَسَنَانٍ فِي عِجَاجِ الْقَسْطَلِ
أو كضِرامِ جَمَرِ نارِ الْمُصْطَلِ
أو مِثْلَ ما لَوَحَتْ بِالسَّجْنِجَلِ
مُقَابِلًا لِلشَّمْسِ غَيْرِ مُؤْتَلِ
أو كَابْتِسَامِ لَكُعَابِ عَيْطَلِ
عن واضح أَشْنَبِ عَذْبِ الْمَنْهَلِ
أو مِثْلِها فِي جِيدِها مِنَ الْحَلِ
أو نَحْوِها لَاحِ لَعِينِ الْمُجْتَلِ
بدا يَنْيِرُ كَشَهَابٍ مُشْعَلِ

إن صورة البرق في شعر غير واحد من الشعراء تبرز معنى القوة والرهبة والبطش، فتتراسل تلكم الصور في ميدان وغى أو قتال، فإذا بالبرق تارة حسام بيدقن، أو رمح في يد فارس، وهذه المقاربة التشبيهية أوجت بها هيئة البرق حال إيماضه وانطلاق ضوئه في السماء أو بين السحب بما يرسم تلك الصورة ويوحى بها، نحو قول حبيب بن أحمد⁽²⁾:

(1) المصدر نفسه ص34.

(2) المصدر نفسه، ص33.

ألا هل رأت عيناك إيماض بارقٍ بدا موهناً في الجو بين سحابه
كما قلب القين الحسامَ وردّه على عجلٍ في جفنه وقرابه

وأخر، يزيد، فيجرده فرساً مصوراً مشهد وغى واقتتال، مثلما قال ابن هذيل⁽¹⁾:

كلّفتها طول السهاد فراقبتُ برقاً يلوح وتارة يتسترُ
وكان ليلى فارسٌ في كفه رمحٌ يقلبه، عليه مغفرُ
تبدو له شعبٌ، تطيرُ أمامها شُعْلٌ، تطيرُ لها القلوب وتُدْعُرُ
ويروغُ عن قبض السحاب وميضُه فكأنّه فرسٌ مُعارٍ أشقرُ

وكثيراً ما يقتزن تصوير البرق ليلاً أو بمعية الرعد والسحب، وهذا التلازم إنما مبعثه علاقة تكاد أشبه بأفراد أسرة واحدة، وغالباً ما يكون ومض البرق ليلاً أو من خلل السحاب بارزاً، ويوحى للشاعر والمتلقي بتداعيات شتى، وهنا تجتمع الأضداد النور والظلام، النار والماء، لينبجس منهما تركيب صوري غاية في الإمتاع والإبهار، فإن جمع المتفرق في بوتقة واحدة يعد من إمارات الإبداع، فلننظر في هذه صورة البرق في مشهد الليل المهيمن وفي ظل الغيم، كيف بدا؟

وليلتنا بالغور أومضَ بارقٌ حثيثُ الجناح مثلُ ما نبض العرقُ
سرى مثلما يسري الهوى في جوانحي بثنين من أحواله النارُ والخفقُ
ولاح كأمثال البُرى خُطمَتْ به من الغيم في ليل السُرى أينقُ وُزُقُ
وبانت دياجي الليل منه كأنها أحابيش في أيديهم الأملُ الرُزُقُ⁽²⁾

فهنا صورة مشهد، جمع البرق في دياجي الليل، والغيم، وهذا الثالوث قد بدأ الشاعر تصوير البرق فيه منفرداً وكأنه بطل المشهد والعرض المسرحي، وشكل الصورة بالتشبيه، بعقد مشابهة أو مقارنة بين طرفين أو أكثر، مستعملاً أداتي التشبيه مثل أو مثلما و كأنّ، كاشفاً عن وجه التشبيه في البيتين الأولين، النار والخفق، فالبرق كالعرق في النبض والخفق، وبالنار في سريانها وانتشارها، وقد نظر الشاعر للبرق من الداخل في فعله وتأثيره في النفس وما يثيره فيها من شوق ولوعة وجوى، وهذا وجه معنوي، في حين أبرز البرق في الصورتين الأخريين بروزاً حسيّاً، في مشهد حركي بوصف لمعه كالحلق من الذهب أو الفضة تخطم بها

(1) المصدر نفسه ص33.

(2) المصدر نفسه، ص30.

النوق وتساق بها، وما هذه النوق الوُزُق سوى الغيم التي يسوقها البرق في ليل السرى، على أن الروعة التصويرية تتجلى في الصورة الأخيرة، وهي صورة تمثيلية، فشبه دياجي الليل والبرق يسطع خلالها، بأحاديث تحمل رماحاً زرقاً، ووجه الشبه هنا قتامة السواد مع بياض ساطع، ولك أن تتأمل أداة التشبيه هنا "كأن" فإن لها قوة في إيقاع التشبيه أبلغ من الكاف "وهي إنما تستعمل حيث يقوى الشبه، حتى يكاد الراي يشك في أن الشبه هو المشبه به أو غيره، ولذلك قالت بلقيس "كأنه هو"⁽¹⁾.

و مما وصف به البرق في سناه ووميضه ولمعانه التبسم، وهو حالة من الانبساط والارتياح، وهنا يدخل البرق عالم الإنسان، فيتلبس ببعض صفاته وتدب فيه مشاعر إنسانية، بالتشخيص وهو "تمثيل الشيء أمام الأعين، وتجسيد المعنوي، وتشخيصه وبث الحياة فيه كأنه يتحرك ويشعر"⁽²⁾. ولك أن تتأمل البرق وقد نفخ فيه ابن خفاجة روحاً إنسانية، فأحياه، فإذا هو يسلم، ويصافح، ويتبسم، في قوله:

لك الله من برق تراءى فسلما وصافح رسماً بالعذيب ومعلما
إذا ما تجاذبنا الحديث على السرى بكيت على حكم الهوى وتبسمما

في حين يجعل ابن الزقاق من وميض البرق تبسماً، أو قل: شخصاً متبسماً، في قوله:⁽³⁾

يا برقَ نجدٍ هل شعرتَ بمُثْمِهم وهب الكرى لوميضك المتبسم

إن تشخيص البرق واجتذابه إلى عالم البشر، شية تصويرية دأب عليها شعراء البرق، وهو أمر يكشف عن رغبة نفسية في خلق معادل موضوعي يشركهم تجربتهم، ويبلغها لمن وراءه، فهذا صفوان بن إدريس يناجي البرق، ويتخذة رسولاً، مبلغاً عنه أشجانه وأشواقه لبلده تدمير، طالباً منه أن يفرغ عليها من قطره سجلاً من ماء فيسقيه⁽⁴⁾:

لعلَّ رسولَ البرق يفتنمُ الأجرا فينثرُ عتَي ماء عبرته نثرا
معامله أربى بها غير مذب فأقضيه دمع العين عن نقطة بحرا
ليسقي من تدمير قطراً محبباً يقر بعين القطر أن تشرب القطرا

(1) القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 390. وانظر أيضاً الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 425.

(2) عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ص 280.

(3) ديوان ابن الزقاق، ص 249.

(4) ابن شريفة، محمد، أديب الأندلس أبو بحر التجيبي، ص 106.

ومن خصائص صورة البرق اللون، فكثيراً ما يظهر في صور لونية متعددة، فهي تتخلق وتتشكل بلون يناسب المشهد من حيث الإيماء والموقف الشعري، ولعل أثر الألوان دوراً الأبيض والذهبي والأحمر؛ فالبرق مثل السيف في لمعانه ولونه الأبيض، كما في قول ابن شهيد في مطلع قصيدة في عتاب الزمن⁽¹⁾:

أُبرِقُ بدا أم لمعُ أبيض قاصِلٍ ورجعُ شدّاً أم رجعُ أشقر صاهِلٍ

ولعل ما يشعه البرق أو البروق من وميض وإشعاع أبيض، في دكنة الليل واسوداده، فتح لابن زمرك أن يصور الشيب به بجامع البياض، وقد تخلل مفرقاً ما زال يبقى على جزء من سواد شعره، تراه يقول⁽²⁾:

إذا رأيتَ بروقَ الشيبِ قد بسمتُ بمفرقٍ فمُحيَا العيشِ قد كلحا

ومن صور البرق الذهبية، قول ابن خفاجة وهو يرسم لوحة البرق في السماء، وأثره على نفسه، فجاء البرق خطأ ذهبياً⁽³⁾:

وما هاجني إلا تالِقُ بارِقٍ لبستُ به بُرْدَ الدُّجْنَةِ مُعلما
تلوَّى هدوؤاً يستطيرُ كأنما أروغُ به في سُدفَةِ الليل أرقما
إذا خطَّ سطرّاً بينَ عينيْ مُذهَباً تداركه قطر الدموع فأعجما

ونجد ابن زمرك كذلك يصوره ذهبياً في قوله⁽⁴⁾:

سلِّ البارِقِ الخفّاق في علمي نجدٍ تبسّمَ فاستبكي جفوني من الوجدِ
وقد سُلِّ من جفن الغمامة مُذهَباً كما سُلِّ لَمَاعُ الصِّقالِ من الغمدِ

وللبرق لون أشقر، يشبه به الفرس، ونجد ذلك في قول ابن خفاجة يصف فرسه الذي شق به الصحراء، ورمى به الهيجا، يقول⁽⁵⁾:

(1) ابن شهيد، ديوان ابن شهيد، ص 116.

(2) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك، ص 375.

(3) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص 173.

(4) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك، ص 324.

(5) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص 174.

فيا ربّ وضّاح المحاسن أشقر رميتُ به الهيجا وقد فغرت فما
وبحر حديدٍ قد تلاطم أخضر إذا عصفت ريح الجياد به طمى
جرى الحسن ماءً فوقه غير أنه إذا ما جرى نازُ الغضى متضرّما
عدا فاستنار البرق لوناً وسرعةً وغبّر في وجه النهار فغيّما

"إن الفرس الأشقر، الذي يفوق البرق لوناً وسرعةً ويغبر وجه النهار عجاجةً وركضاً، هو رمز لشباب الشاعر الذهاب، والذي يود لو يتجدد ليصل به إلى الغاية ويحقق ما يريد"⁽¹⁾
على أن البرق في مشاهد ولوحات يتلون بالحمرة، والشعراء في إضفاء اللون الأحمر عليه يقاربون ذلك كثيراً في موقف الحرب حيث الدماء تسيل، وتخضب بها السيوف، أو موقف الذبح والعقر، أو موقف الشدة بعامة، من مثل قول ابن خفاجة وهو يصف التماع بروق بالوية حمراء على روضة غناء، فدل اللون الأحمر هنا على الحياة:

ومن خفوق البروق فيها ألوية حمّرت خضاباً⁽²⁾

وقد يأتي في سياق يتلفع بالحزن والأسى كما في موقف الرثاء، كما في قول أبي بكر محمد بن الجراوي وهو من أعيان كتاب غرناطة⁽³⁾:

حنانيك قد أبكيت حتى الغمائم وشققت عن أزهارهنّ الكمائم
وأدميت خدّاً للبروق بلطمها وخلفت من نوح الرعود مآتما
ولم يبق قلب لا يقلبه الأسمى وأشجيت في أغصانهنّ الحمائم

فانظر إلى صورة البرق وهو يلمع بشدة في السماء، انعكس حزنه من فقد هذا المرثي، وكأنه يضرب خدّاً، فيحمر، وليس هذا الاحمرار سوى وميضه الأحمر، وهنا يغدو البرق معرضاً لإبداء عاطفة الحزن، والدلالة على الموت، وهو معنى ثان من معاني البرق ودلالاته حيث النار والموت، ويتأكد هذا المعنى في مرثية ابن خفاجة في قوله⁽⁴⁾:

(1) طحطح، الغربة والحنين، ص225.

(2) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص339.

(3) المغربي، علي بن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط4، ج2/ص116.

(4) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص234.

نُجِرَ العزاءُ عليه لم تنحز به إبِلٌ ولم تعقرْ عليه جيادُ
وسقاك وابلٌ رحمةً تغشى به جنباتك الورادُ والروادُ
تهفو البروق بجانبيه كأنما عُقرت بها خيلٌ عليك وراُدُ

فلك أن تتأمل في الفعل "عقرت" وهو دال بجرسه وظلاله ودلالته على إسالة الدماء ذات اللون الأحمر، وهنا تكتسب هذه البروق خاصية القدرة على العقر والذبح، وفي الوقت نفسه أن تلکم الدماء المنسابة هي ما تومض البروق بلونها الأحمر.

على أنه قد يأتي اللون بدلالة غريبة عن سياقها لأول وهلة، والشاعر في حديث عن وصف الطبيعة ومظاهر الحياة فيها، فإذا به يصدمنا بمشهد تسيل فيه دماء البرق، كما في قول ابن الحناط:

كأن ابتسام البرق فيها إذا بدت سيوفٌ عليّ بالدماء رواعف⁽¹⁾

فصورة البرق هنا في وميضه ولمعانه وسط الغمام، والمطر يتساقط، وكأنه سيوف تقطر بالدماء على الشاعر، ولعل هذه الدلالة تداخلت مع مشاعر الذات الشاعرة من معاناتها الفقد لوطنها؛ "وإن كان في هذا التشبيه شيء من بشاعة المنظر، إلا أن لحالة الشاعر النفسية دوراً فيها، فلعل بعده عن هذا المكان ورؤية هذه البروق المصاحبة للمطر جعله يحس بأنها سيوف تقطر دماً، وهذه الدماء هي دماء ألم الفراق، وألم الحرق، جراء اعتساف حق الشاعر في عودته إلى وطنه"⁽²⁾.

(1) الشنتريني، أبو الحسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس، الدار العربية للكتاب 1395 هـ. 1975 م، مج 1، ق 1، ص 451.

(2) العميري، أمل محسن، المكان في الشعر الأندلسي، عصر ملوك الطوائف، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط 2012 م، ص 148.

8. المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- ابن الأبرص، عبيد، ديوان عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح، د حسين نصار، ط 1، 1377 هـ.
 - 1957 م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاد، مصر.
 - ابن الخطيب، ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماي، صنفه وحققه وقدم له الدكتور محمد مفتاح، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء . المغرب، ط 2، 1428 هـ ، 2007 م.

- ابن الخطيب، لسان الدين بن الخطيب، الكتيبة الكامنة في من لقيناه من شعراء المائة الثامنة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1983.
- ابن الزقاق، ديوان ابن الزقاق أبي الحسن علي بن إبراهيم بن عطية، تحقيق عفيفة محمود ديراني، دار الثقافة - بيروت، 1409هـ. 1989م.
- ابن الكتاني، أبو عبد الله محمد الطيب، كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
- ابن اللبانة، ديوان ابن اللبانة الداني "مجموع شعره"، جمع وتحقيق د. محمد مجيد السعيد، دار الراجحة للنشر والتوزيع، ط2، 2008م، 1429هـ.
- ابن المرباط، أبو العلاء محمد بن علي، زواهر الفكر وجواهر الفقر، دراسة وتحقيق د. أحمد المصباحي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط1، 1431هـ. 2010.
- ابن حمديس، أبو محمد عبد الجبار، ديوان ابن حمديس، صححه وقدم له د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- ابن خطاب، أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود، فصل الخطاب في ترسيل الفقيه أبي بكر بن خطاب"، دراسة وتحقيق الدكتورة فتيحة العربي، أطروحة دكتوراه، مخطوطة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2005م.
- ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، تحقيق د. سيد غازي، ط2، منشأة المعارف بالإسكندرية.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، ط1، دار العلم للملايين، 1987م.
- ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، محمد بن يوسف الصريحي، تحقيق، د. محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م.
- ابن زيدون، ديوان ابن زيدون ورسائله شرح وتحقيق علي عبد العظيم، تقديم ومراجعة الدكتور محمد إحسان النص، منشورات مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، ط3، 2004.
- ابن سهل، ديوان ابن سهل الأندلسي، قدم له د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980.
- ابن شريفة، محمد، أديب الأندلس أبو بحر التجيبي، عمر قصير وعطاء غزير (561هـ - 598هـ)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 1420هـ 1999.

- ابن فارس، أبو حسين أحمد (ت 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، عالم الفكر، 1399هـ - 1979م.
- ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: 751هـ، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين)، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1416هـ - 1996م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، ط2، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ. 1999م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط1، دار صادر، بيروت، 1412هـ. 1992م.
- أبو موسى، محمد محمد، قراءة في الأدب القديم، الدكتور، ط4، 1433هـ. 2012م، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، مصر.
- الأصفهاني، العماد، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء مصر، نشره أحمد أمين، شوقي ضيف، إحسان عباس، القاهرة، 1951م.
- امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، بشرح أبي سعيد السكري، دراسة وتحقيق د. انور عليان أبو سليم، ود. محمد علي الشوابكة، ط1، 1421هـ. 2000م، إصدار مركز زايد للتاريخ والتراث.
- أودبير، كلود، أبو نواس والفتية، نشرة الدراسات الشرقية، مطبعة المعهد الفرنسي للشرق الأوسط.
- باوزير، خالد عمر، المخمس الشعري عند ابن زيدون، مجلة إربد للبحوث، العدد 3، م26، 2024م.
- البلوي، خالد بن عيسى، رحلة البلوي، المسماة " تاج المفرق في تحلية علماء المشرق"، تحقيق الحسن السايح/ مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.
- التجيبي، أبو بحر صفوان بن إدريس، زاد المسافر، وغرة محيا الأدب السافر، تحقيق د. محمد بن شريفة، ضمن كتابه " أديب الأندلس أبو بحر التجيبي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1420هـ. 1999م.
- التجيبي، أبو بحر صفوان بن إدريس، زاد المسافر، وغرة محيا الأدب السافر، تحقيق عبد القادر محداد، بيروت، 1358هـ. 1939م.
- الجراري، عباس، فنية التعبير في شعر ابن زيدون، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1977.
- الجرجاني، الشريف علي بن محمد (ت 816هـ)، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط1، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان 1403هـ - 1983م.

- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز للجرجاني، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- الجوهرى، أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت 393هـ) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين - بيروت، 1407 هـ - 1987م.
- الرصافي، أبو عبد الله محمد بن غالب، ديوان الرصافي البلسني، جمعه وقدم له د. إحسان عباس، ط2، دار الشروق، بيروت، لبنان، 1403 هـ. 1983م.
- رومية، وهب، شعر ابن زيدون، قراءة جديدة، 349 هـ. 463 هـ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة. دمشق 2014.
- الزهراني، مها بنت عبد الله بن سعيد، الاغتراب والحنين بين شعر المشاركة والأندلسيين في القرن السادس الهجري، ط2، نادي الشرقية الأدبي، 1425 هـ/2004م.
- الشنتريني، أبو حسن علي بن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق د. إحسان عباس، الدار العربية للكتاب 1395 هـ. 1975م.
- طحطح، فاطمة، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء، ط1، 1993.
- الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، 1970م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، جمهرة الأمثال، دار الفكر - بيروت.
- عصفور، جابر، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي - بيروت، ط2، 1992.
- العميري، أمل محسن، المكان في الشعر الأندلسي. عصر ملوك الطوائف، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط2012، 1م.
- غانم، رشاد، تحولات الشعرية في الأندلس، قراءة في التشكيل والدلالة، دار النابغة للنشر والتوزيع، ط1، 1442 هـ. 2021م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت 170 هـ)، كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- القرطاجني، أبو الحسن حازم، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محد الحبيب الخوجة، دار الغرب الإسلامي، ط3، بيروت، 1986.
- قلقيلة، عبده عبد العزيز، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، ط3، 1412 هـ/1992م.

6. الخاتمة:

حاولنا في هذا البحث أن نميط اللثام عن توظيف شعراء الأندلس للبرق في شعرهم، فتناولنا أولاً البرق في بعد المعجمي واللغوي، ثم طوفنا في مباحث ثلاثة حول حضور دال البرق كثيراً في الاستهلال الشعري في مقدمات القصيدة الأندلسية، ليشكل ذلكم الاستهلال لازمة فنية وأسلوبية، له علاقة بالغرض الشعري، وما لهذا المطلع البرقي من أبعاد رمزية وتصويرية. وعليه، يمكن أن نسجل أبرز ما وصلنا إليه:

1. يعد البرق أحد عناصر الطبيعة التي وظفها الشعراء في شعرهم عامة، وشعراء الأندلس خاصة، لما يختزنه من معاني ودلالات متعددة من السقيا، والماء والنار والنور واللمعان، وما شكله البرق في بنيته وطبيعته من وسيلة فنية استدعاها الشعراء للتعبير عن عواطفهم المختلطة من شوق وغربة وحنين.
2. مثل البرق عنصراً فنياً، ومطلعاً استهلالياً في غير قصيدة، ونظر إليه بأنه مفتاح يثير انفعالات خاصة، فحسن الابتداء به كما نص على ذلك بعض النقاد. وقد كان له حضور كثيف لدى شعراء الأندلس في مقدمات قصائدهم، لاسيما عند شعراء الغربة والحنين، وفي مقدمات المدح والغزل والنسيب والفخر والرثاء وغيرها، وتناوله الشعراء عنصراً مندمجاً في وصف الطبيعة.
3. مثل البرق معادلاً موضوعياً للذات الشاعرة، ورمزاً شعرياً؛ فهو من رموز الشوق الكبرى، يفصح عن اللوابع التي في القلوب، ومن هنا مثل بحق تجربة وجدانية، تآزرت في بنيتها عناصر تأتي مجتمعة من أرق ودمع وذكريات ومكان، وتحية وسلام، كشفت عن الذات الشاعرة وهي في حالة اتصال أو رغبة فيه مع الآخر الغائب والبعيد عنها، فحمل البرق التحية والسلام رسولاً أميناً. وكشف البحث عن معاني البرق المتقابلة أحياناً والمتنافرة أحياناً أخرى من مثل دلالاته على النور والظلام والماء والنار، في بنية تضاد وظفها الشعراء للإبانة عن تجربة نفسية تحكمها المفارقة بين الحاضر والماضي، والواقع والمأمول.

- المغربي، علي بن سعيد، المغرب في حُلَى المغرب، تحقيق د. شوقي ضيف، دار المعارف، ط4.
- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان ط 2004م.
- المنصوري، أحمد مقبل، اللون في الشعر الأندلسي حتى نهاية عصر الطوائف، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 1425هـ. 2004م.
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان.

4. حفل الشعر الأندلسي بمادة غزيرة في الحديث عن وصف البرق إما استفتاحاً أو انبثاثاً، في دواوين غير شاعر، بل استقل البرق ببعض نصوصه، فتأتي ودورانها عليه من أولها إلى مختتمها، بما يمكن أن نسعي مثل هذه النصوص بشعر البرق أو القصيدة البرقية، وقد وجدنا هذا الأمر في مقطوعات شعرية في وصف للبرق وحده، وفي بعض تجارب الحنين كقصيدة أبي بكر بن الخطاب الغافقي.
5. أبانت صور البرق عن أبرز سمات البرق وخصائصه من حيث اللمعان، والشكل، واللون، والسرعة، وعلاقته بعناصر الطبيعة المصاحب لها من رعد وسحب، وليل، وعلاقته بالذات الشاعرة وتعبيره عن شجنها. ومن هنا يمكن ملاحظة أن توظيف البرق فناً واتخاذ عنصر بناء وتشكيل قد سار في مسارين مختلفين تارة، ومتداخلين تارة أخرى؛ فالمسار الأول نجد فيه البرق يصوّر تصويراً شكلياً، من الخارج، دون أن يثير فينا إحساساً أو تعاطفاً غير الإعجاب بصورته المتخيلة الجديدة، والمسار الثاني يوظف فيه البرق توظيفاً شعرياً، ينسل داخل التجربة، ويعبر بصفة من صفاته أو أكثر عن معنى شعري، ويتخلق البرق خلقاً آخر، فيتلبس بصفات الإنسان من تبسم، وتكلم وإلقاء السلام.. في صورة تحويلية تشخيصية ناطقة، ومن هنا تتجلى الوظيفة الشعرية في الصورة الفنية، وتكتمل صورته من خلال عنصر اللون، الذي هو عنصر جمال، وكان اللون الأبيض والذهبي والأحمر أكثر ما جاءت عليه صورة البرق اللونية.
6. أفضى تحليل البنية الأسلوبية لشعر البرق عن أن الأساليب الإنشائية من نداء واستفهام وتعجب وتمنٍ وأمر كثيراً ما يتكئ عليها الشعراء في تلوين أساليبهم التعبيرية، ويوفرون نغماً صوتياً وإيقاعياً يبدأ بالتصريح، ويعزز بالتكرار على مستوى الحروف والألفاظ، بل ويستعملون أحياناً حروف روي نادرة الاستعمال كحرف الضاد والياء، ويستعملون البحور الشعرية الطويلة من الطويل والبسيط والكامل، مما يكشف عن أن تجربة شعر البرق تجربة تضرب في الإبداع الشعري بسهم عالٍ، وأنه وإن أخذ من ملامح شعر الطبيعة شياتٍ باندماجه فيها ومعها، إلا أنه اختص بجعله دالاً شعرياً استفتاحياً، ورمزاً شعرياً، وعنصراً صوراً تصويراً مكثفاً ومركزاً فاستقل بشخصيته الشعرية وبفعله الشعري في الذات والطبيعة.